

وفاء النيل والنيروز

(٢) النيروز

النيروز او عيد رأس السنة المصرية هو اول يوم في السنة الزراعية الجديدة ويقع في اول توت الذي هو اول شهر من الشهور القبطية (١) والنيروز او النيروز لفظة مركبة من كلمتين ني او نو ومعناها بالفارسية (٢) الجديد وروز معناها يوم اي اليوم الجديد وقد جرت هذه اللفظة الواحدة بسهولة وتعربت من عهد بعيد وقصد منها عيد رأس السنة الجديدة عند المصريين ومن المفهوم ان اغلب اللغات الاوربية آرية وترجع الى اصل شرقي واحد فلا عجب ان رأينا لفظة ني او نو قد اخذها الغربيون للدلالة على الجديد الحديث فقالوا في الفرنسية Neut والانجليزية New والالمانية Neuo والاطليانية Nove الخ واذا كان المقصود هنا هو النيروز القبطي اي المصري فانما يراد التمييز بينه وبين النيروز الفارسي . وقد عرب هذا اللفظ واشتق منه فعل نورز اي عيد ذلك العيد وتشبوهوا في الترمم واللهو بالاشعار والغناء

ويذكر ابو العباس القلقشندي مؤلف صبح الاعشى في صناعة الانشاء نقلاً عن ابن المقفع كما ذكر الجاحظ في مؤلفه المحاسن والاضداد انه كان من عادات الفرس فيه ان يأتي الملك رجل من الليل طلق الوجه زلق اللسان فيقف على الباب حتى يصبح فاذا كان الملك وقد لبس زينته ولزم مجلسه ، يدخل عليه من غير

(١) السنة القبطية الخالدة هي بدايتها اسد المصرية القديمة الفرعونية بشهورها وترتدتها والمصريون اول من قسم الزمن وحسابه تطبيقاً على قاعدة وصول اشل في اوج فضه العميم الدوري الى املاء وهذا ية في اثناء شهور توت وكان الاحتفال به و عصر الفرات فالفرس طابونان والرومان في عهد الاقصر (طيرة) هكل الكرنك حيث خرج حملة مركب آمن من الكرنك الى الشاطيء الغربي وهي باقية الى الآن عند احد الانصر تحت اسم مركب ابو الحاج وتوضع على عربة كدرة يجرها الرجل ويعاف بها حول مسجد ابى الحاج الاصلق ضريحه لمعد الكرنك فيطوف بها مسلمو الاقصر وغيرهم من اهالي لوجه القبلي في الشوارع المحيطة بالمسجد ومعبد الاقصر القديم بم ١٣ شبان ورفصوا ديفون بابى الحاج وكراماته وانه هو ولي الاقصر الحارس لها

(٢) يقول القلقشندي في صبح الاعشى ان اول من تشبه به شاد او جشيد احد ملوك الطيبة الثانية من الفرس والفرس فيه آراء واعمال على م طالعهم وتعليقات الاحتفالا به

استئذني ويقف قذالته حيث يراه... الى آخر ما يلي بعد من العبارة المتشابهة التي وردت في تاريخ مصر لابن نياس المسمى بدائع الزهور في وقائع الدهور صحيفا ١٩ من الجزء الاول في وصف الاحتفال باننيروز القبطي تخصيصاً اذ قال :

وكان من اصلاحي ملوك القبط في يوم النيور وهو اول يوم من السنة القدسية ان يأتي الملك رجل في صبيحة ذلك اليوم ويدخل عليه بغير اذن ويكوز ذلك الرجل حسن لوجه حسن الثياب ضيق لرائحة فصيح اللسان فيقف بين يدي ذلك الملك بحيث انه يراه فيقول له الملك من انت ومن اين اقبات والى اين تريا وما اسمك وما معك ولاي شيء وردت. فيقول الرجل انا المصور واسمي المبارك والى الملك السعيد اردت وبأهنا والسلامة وردت وبالعام الجديد قد اقبلت

ثم يجاس بين يدي الملك ويرد بعده رجل ومعه طبق من الفضة وفيه قمح وشعير وفول وحمص وبصله وعدس وسمسم وقدمه سكر ودينار ذهب ودرهم فضة ضرب ذلك العام الجديد ومطاقة آس فيضع ذلك الطبق بين يدي الملك ثم يقدر الى الملك رشيفاً قد صنع من تلك الحبوب السبعة فيأكل منه الملك ويطعم من حوله من ارباب الدولة ثم يدخل عليه الوزراء والحجاب وعمال الخراج ثم بقية الجند على قدر مراتهم

» ثم يقول الملك هذا يوم جديد من شهر جديد من عام جديد من زمان جديد فنحتاج ان نجد فيه ما اخاق الزمن ثم يأمر بان يفرق ما في حواصلهم جميعاً من ملابس ومن فرش دلي جنده ثم يجدد غيرها ويقول ما من اخلاق الملوك ان يساوا العامة في افعالهم ويدخروا في حواصلهم كسوة الصيف الى الشتاء ولا كسوة الشتاء الى الصيف. انتهى ذلك. واستمر القبط على ملك مصر يتولاه واحد بعد واحد الى آخر من تولى منهم وهو المقوقس ام بحروفه

والظاهر ان هذا العيد قد لقي من احتفاء الحكومة به ما لقي مثلاً عيد قط الخديج لانهما كليهما برمي الى التبرك بالفيض العميم فلا غرو ان اهتم به الخلفاء الفاطميون ايضاً وجملوه من الموسم والبطولات الرسمية لتتسع بها احوال الرعية وتكثر نعمهم وتحمل تقاليدهم

واليك ما يقول المقريري عند ذكره الايام التي كان الفاطميون يتخذونها اعياداً

ومواسم : كان النيروز القبطي في ايامهم من جملة المواسم فتمتعل في الاسواق ويقبل فيه سمي الناس في الطرقات وتصرف فيه الكسوة لرجال اهل الدولة واولادهم ونسائهم والرسوم من المال وحوامج النيروز واصنافها البطيخ والمان وعراجين الموز وافراد البسراي البلح قبل ان يصير رطباً واقفاص التمر القوصي واقفاص السفرجل وبكل الهريسة المعمولة من لحم الدجاج ولحم الضان ولحم البقر من كل لون بكلة مع خبز بر مارق . وكان في ذلك اليوم يحضر الخليفة كاتب الدفتر لاثباتات ما جرت به العادة من اطلاق العين والورق والكسوات على اختلافها وغير ذلك من جميع الاصناف وهو اربعة آلاف دينار وخمسة عشر الف درهم فضة والكسوة عدة كثيرة من شقيق ديبقي مذهبات وحريريات ومعاجر وعصائب شاومات ملوكات وشقق لاز مذهب وحريري ومشفع وفوط ديبقي حريري فاما العين والورق والكسوات فذلك لا يخرج عن تحوزه القصور ودار الوزارة والشيوخ والاصحاب والحواشي والمستخدمون ورؤساء العشاريات وبجارتها ولم يكن لاحد من الامراء على اختلاف درجاتهم في ذلك نصيب واما الاصناف من البطيخ والمان والبسر والتمر والعناب والهراس على اختلافها فيشمل ذلك جميع من تقدم ذكرهم ويشركهم في ذلك جميع الامراء ارباب الاطواف والاقصاب وسائر الامائل ويوقع الوزير على جميع ذلك بالاتفاق «

ولعل الاعتداد بتوت واعتباره رأس السنة المصرية انه اله الحكمة ورب القلم عند قدماء المصريين كما كان يسمى اليونان جو بتر او المشتري في الميتولوجيا اليونانية او رئيس الهتهم وعند كل امية قديمة لمهدا الوثني

ولقد يبلغ النيل في هذا الشهر اقصى حده للزيادة اذ اعتمد المصريون في تقسيم سنتهم الى ثلاثة فصول زراعية مدة كل فصل اربعة شهور وهي :

الفصل الاول الزراعي وهو توت وبابه وهاتور وكهك

الثاني الحصاد وهو طوبه وامشير وبرمهات وبرموده وفيه التعاريق

لثالث الفيضان في بشنس (٢) وبثونه وايب ومسرى وخمسة ايام النسب

او الشهر الصغير في السنة البسيطة وستة ايام في السنة الكبيرة

(٢) قالوا في عبارات عامية مرتبة على الشهور القبطية من شهر بشنس يكس الارض كس

اي ان يكون للحصاد فيه تاماً ولا يتأخر حصاد اي زراعة عن هذا الشهر

والذي يهنا الكلام فيه هنا لمناسبة هو الاخير او (فصل الفيضان النيلي)
 « الدميرة » الدوري تقريباً بارتفاع المنسوب ومعرفة تؤخذ من المقاييس
 الموضوعه لذلك من البلاد السودانية وفي جزيرة اسوان قديماً حتى بقياس القاهرة
 في جزيرة الروضة المعروفة ايضاً بالنيل ولذلك اشتهرت باسم الروضة والمقياس
 لهذا السبب

وقد يتفسر النيل بالزيادة كما يقولون تعارفاً في بؤونه ويحتفل بعيد النقطة
 الذي يقع في ١٢ من هذا الشهر ويظل طول شهري ايب ومسرى والزيادة مستمرة
 ويطوف المنادون المبشرون بها اتهاحاً ليدخلوا على قلوب الاهالي البشري بالوفاء
 والسرور بحياة بلادهم وهي عادة تقليدية تستلزمها العادات الاخرى التي اتخذوها
 وتناقولها ويتوارث المنادون هذه المهنة بموائد مقررة وتعلن مقادير الزيادة يومياً
 على السنهم مع دعوات لعنيفة يرددونها صبية صفار او بنات تسمى عرائس النيل
 مع طبول وزمور في ايام معلومة كايام ما قبل جبر الخليج والنوروز وعيد الصليب
 ونقل عن ابن زولاق في سنة ٣٦٣ هـ « منع امير المؤمنين المعز لدين الله من
 وقود النيران ليلة النيروز في السكك ومن صب الماء يوم النوروز »

وقال في سنة ٣٦٤ هـ « وفي يوم النوروز زاد اللعب بالماء ووقود النيران وطاف
 اهل الاسواق وعملوا فيلة وخرجوا الى القاهرة بلبهم ولعبوا ثلاثة ايام واطهروا
 السماجات والحلى في الاسواق ثم امر المعز بالبداء بالكف وان لا توقد نار ولا
 يصب ماء واخذ قوم نجسوا واخذ قوم فطيف بهم على الجمال »

وقال ابن ميسر في اخبار مصر (٣) في حوادث سنة ٥١٦ هـ « وفيها اراد
 الامر باحكام الله ان يحضر الى دار الملك (في النوروز) السكان في جمادى الآخرة
 في المراكب على ما كان عليه الافضل ابن امير الجيوش فاطاد المأمون (عبد الله
 البطايحي) عليه انه لا يمكن فان الافضل لا يجري مجراه مجرى الخليفة وحمل اليه
 المأمون من الثياب الفاخرة برسم الجهات ما له قيمة جليظة »

وقال ابن المأمون « وحل موسم النوروز في التاسع من رجب سنة ٥١٧ هـ
 ووصلت الكسوة المختصة به من العزاز (الموضوع الذي تنسج فيه الثياب الجيدة

(٣) يقول ان ايام هذا العيد كانت ثلاثة تشمل مدن مصر وقراها وكان الخليفة يحضر الى دار
 الملك في النوروز في المراكب كما فعل ايضاً الافضل ابن امير الجيوش من شاه سنة .

وتفر الاسكندرية مع ما يتبعها من الآلات المذهبة والحريري والسواذج
 واطلق جميع ما هو مستقر من الكسوات الرجالية والنسائية والعين والورق وجميع
 الاصناف المختصة بالموسم على اختلافها بتفصيلها واسماء اربابها واصناف النوروز الخ
 وقال القاضي الفاضل في تعليق المجددات سنة ٥٨٢ هـ (٤) « وجرى الامر
 في النوروز على العادة من رش الماء واستجد فيه هذا العام التراجم بالبيض
 والتصافع بالانطاع وانقطع الناس عن التصرف ومن ظهر به في الطريق رش بمياه
 نجسة وخرق به »

وما زال يوم النوروز يعمل فيه ما ذكر من التراش بالماء والتصافع بالجلود
 وغيرها الى ان كانت اعوام بضع وثمانين وسبعماية وامر الدولة بديار مصر
 وتديرها الى الامير الكبير برفوق قبل ان يجلس على سرير الملك ويسمى بالسلطان
 فنع من لعب النبروز وهدد من لعبه بالعقوبة فانكف الناس عن اللعب في القاهرة
 وصاروا يعملون شيئاً من ذلك في الخلجان والبرك ونحوها من مواضع التنزه .
 بعد ما كانت اسواق القاهرة تتعطل في يوم النوروز من البيع والشراء
 ريتعاطى الناس فيه من اللهو واللعب ما يخرجون عن حد الحياء والحشمة الى
 الغاية من الفجور والمهور وقلما انقضى يوم نوروز الا وقتل فيه قتيل او اكثر
 ولم يبق الآن للناس من الفراغ ما يقتضي ذلك ولا من الرفه والبطر ما يوجب
 لهم عمله »

وقال ايضاً في تعليق المتجددات لسنة ٥٨٤ هـ « يوم الثلاثاء رابع عشر رجب
 يوم النوروز القبطي وهو مستهل توت وتوت اول سنتهم وقد كان عصر في الايام
 الماضية والدولة الخالية يعني دولة الخلفاء الفاطميين من مواسم بطالاتهم ومواقيت
 ضلالاتهم فكانت المنكرات ظاهرة فيه والفواحش صريحة في يومه ويركب فيه
 امير مرسوم بامير النوروز مع جمع كثير ويتسلط على الناس في طلب رسم زينة
 على دور الاكابر بالجل الكبار ويكتب مناشير ويندب مرسمين كل ذلك يخرج
 مخرج الطير ويقنع بالميسور من الهبات ويتجمع المغنون والفاستقات تحت قصر
 اللؤلؤة بحيث يشاهد المخليفة وبايديهم الملاهي وترتفع الاصوات ويشرب الخمر
 والمزهر شرباً ظاهراً بينهم وفي الطرقات يتراش الناس بالماء وبالماء والخمر وبالماء

مروحاً بالاقذار فان غلظ مستور وخرج من دار لقيه من يرشة وينفسد ثيابه ويستخف بجرمته فاه فدى نمة واما فضح ولم يجر الخال في هذا النوروز على هذا ولكن قدرش الماء في الحارات واحيا المسكرات في الدور وارباب الخسارات .

ولا خلاف في ان حساب السنة الفريسيه او التاريخ السوتي طال تاريخ الزراعة في موافقتها كما كان «ريج البلاد المصريه احيالاً مطوية لا يعرف الحكام سواء ولا يعول الاعيان والمزارعون حتى عامة الاهاب الاعليه في اعمالهم خصوصاً الزراعيه التي عاينها مدار رزقهم ومصدر خيرات البلاد . وظلت الحكومه المصريه تشارك جمهور الاهابي في اقامة الاحتفالات الرسميه احتفاءً بحول رأس السنة الوطنيه بصرف النظر عن اختلاف الجنس الموهوم بين الهيئتين الحاكمه والحكومه وسارت على تلك القواعد ولكن قد طرأت على تلك الاحتفالات بعض العادات من الرطاع كالتراش بالماء والترجم بالبيض والتصافع بالجلود مما ادى لمنعها ورجوعها بحكم العادة مراراً وتكراراً الى ان امر السلطان برقوق نحو سنة ١١٠٠ للشهداء بمنع لعب النيروز في القاهره واقتصر الامر على التبرك بالماء في الخلجان والبرك ونحوها من مواضع التنزه كما يحصل الى اليوم في بلاد الوجه القبلي مثلاً في نقاده من اجتماع اغلب الاهاب باولادهم ونساءهم ومواسيهم ونزولهم صباحاً في الفجر الى النيل ويخرجون بكل بساطة لا فرق بين مسلم ومسيحي الا ان كان الاخير يتوجه توجاً الى كنيسته مقدماً صلوات الشكر على انتهاء العام القديم واستقبال عام جديد يرجو ان يكون خيراً وركه تلي الجميع كما حرت العادة ايضاً عند عرفاء الكتاتيب القبطية من عمل «نواريز» وهي لوحات على افرخ ورق الكتان بطولها ترسم بالالوان بصور النخيل والبلح والموز . وتكتب في الوسط دعوات وصلوات تيمناً وبركة ويفرقها العرفاء على التلاميذ الصغار بقصد الاسهداء على العيد . جرى كل ذلك الى عهد قريب قبيل انتشار المدارس فبطل تدريجياً وحدة الاحتفالات بالنيروز والمتعارف لليوم ان وفاء النيل والاحتفال به سابق لعيد النيروز فاذا لم يمكن الاحتفال به ولم يكن مناس من التوحيد والجمع بينهما بالتقديم والتأخير ونقل احد العيدين الى الآخر لمطابقتها للثاني كمشروع وزارة الاشغال في توحيد العيدين — فلا يمكن تطبيق ذلك الا على تاريخ الوفاء اذ انه عيد غير ثابت وفي

ريخ غير معين تماماً بما أنه تحت تصرف الحكومة وكان دائماً يتقدم ويتأخر تبعاً لزيادة بخلاف عيد النيروز الذي يقع في تاريخ ثابت وهو يوم اول العام المصري حسبها الزراعي وما دام ارتباط العيدين بالنيل كما تبين في زيادته ووفائه وفيضانه المعقول ان الغير ثابت يتبع الثابت فيتأخر عيد الوفاء الى النيروز وعندئذ يكون سم العيد عيد النيروز والوفاء احتفاظاً بالتقاليد الاولى من القدم الى الآن بلا عني لفارق من الفوارق

ان المتبع لتاريخ يوم عيد وفاء النيل يجد انه يحدد عادة في النصف الثاني من شهر اغسطس من كل سنة فالفرق بين ذلك ويوم النيروز الذي يقع في ١١ سبتمبر بوعشرون يوماً وهي مدة قليلة يمكن التجاوز عنها في سبيل توحيد العيدين تنفيذ غرض الوزارة
توفيق اسكاروس

الصناعات في سوريا ولبنان

(٦) الطرق والسكك

يظهر من النظر في جغرافية سورية ان الاماكن المهمة التي تقدم الكلام عليها نصلة كلها ببيروت بطرق تسير فيها المركبات بل ان بعضها مجهز بالسكك الحديدية على كل فان بعض المناطق الشمالية التي لا تقل عن تلك شهرة في وضعها او تجارتها ازل خالية من طرق المواصلات ولا ريب انها تعود فاصلة بالزوار رائجة الحال في امكن تسهيل السفر اليها بالمركبات والسيارات مثال ذلك الكفرية والكابية صهيون من جبال النصيرية وكذا قرطبة وتنورين والقلوق من لبنان حيث الارتفاع ١٧٠٠ متر عن البحر وقد ذاع صيته لطيب هوائه وجفافه وجمال مناظره وعذوبة اائه وغنى مراعيه فهو الموقع السكالي لانشاء مكان استشفاء على نمط ما في ليزن و داموس وفوق ذلك فكثيرون من المصدورين شقوا عقب تمضيتهم فصل الصيف في هذا المكان الممتاز من الوجهة الصحية

يبلغ طول الطرق السورية في الوقت الحاضر ٢٠٠٠ كيلو متر منها ١٥٠٠ في لبنان الكبير وهي جميعاً ان ضربنا صفحاً عن بضع شواذ قد انشئت قبل ان